# وماذا بعد الحج؟


الشيخ الأستاذ:

سُلَيْمَانُ بْنُ سَلِيمِ اللهِ الرُّحَيْلِيُّ

حفظه الله



تفريغ: مجموعة الأخوات التطوعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

# الشيخ لم يُراجع التفريغ

١٤٤٣هـ

## المقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديه له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد:**

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ فالنار.

ثم -يا معاشر الفضلاء- إن الوصول إلى مسجد رسول الله ﷺ نعمة كبرى، ومنة من الله عظمى، فالسعي إلى مسجد رسول الله ﷺ من قريبٍ أو بعيد يحبه الله ﷻ، والسفر إلى مسجد رسول الله ﷺ سفر طاعة، وقربة يُتقرب بها إلى ربنا ﷻ، قال نبينا ﷺ: ((لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ هذا، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى))[(١)]، أي: أنه لا يجوز للمسلم أن يُسافر إلى بقعة تقربًا إلى الله ﷻ لقصد شيءٍ لا يوجد إلا فيها، إلا إلى هذه المساجد الثلاث:

١. إلى المسجد الحرام بمكة.

٢. وإلى مسجد النبي ﷺ بالمدينة.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١١٨٩)، ورواه مسلم، برقم: (١٣٩٧).

٣. وإلى المسجد الأقصى -فك الله أسره ورده إلى المسلمين-؛ فالسفر إلى مسجد رسول الله ﷺ من أعلى الأعمال الصالحة، ومن أفضل القرب التي يتقرب بها إلى المولى ﷻ.

وإذا وصل المؤمن إلى مسجد رسول الله ﷺ فإنه ينبغي له أن يستشعر أنه في مدينة كان النبي ﷺ يُحبها، فكان النبي ﷺ يسأل ربه حبَّها، وكان يقول: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ))[٢]، وكان ﷺ إذا غاب عنها يشتاق إليها، فكان ﷺ إذا قدم من سفر فرأى جُدرات المدينة حرّك دابته، أو أوضع راحلته إن كان عليها من محبته لهذه المدينة، -أنت يا عبد الله-، وأنت في مدينة رسول الله ﷺ ينبغي عليك أن تُشعر قلبك بهذه المزية العظيمة لهذه المدينة أن النبي ﷺ كان يحبها، وكان يحب أُحدًا فيها، فينبغي لك أن تحبها كما أحبها رسول الله ﷺ.

وإذا وصل المسلم إلى هذا المسجد المبارك فإنه يُشرع له: أن يُصلي في هذا المسجد، وأن يُكثر من الصَّلاة في هذا المسجد، فأعظم غنيمة له وهو في مدينة رسول ﷺ أن يكون من عُمّار مسجد رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن يضيع وقته، وهو في مدينة رسول الله ﷺ بالذهاب إلى أماكن لم يُشرع له أن يذهب إليها، فإن أماكن النزهة موجودةٌ في كل مكان، أما القربة في مدينة رسول الله ﷺ فلا توجد إلا في الأماكن التي شُرعت زيارتها، والأعمال الصالحة فيها، فينبغي على المؤمن أن يكون من عمَّار مسجد رسول الله ﷺ، يصلي إن لم يصلي في مسجد رسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ قال: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ))[٣]، فأنت -يا عبد الله- إذا صليت في مسجد النبي ﷺ فرضًا من الصلوات المفروضة فإنه يكون لك أبرك، وأكثر أجرًا مما لو صليته ألف مرة في بلدك في مسجد حيك فهذا فضل عظيم، وأجر كبير.

---

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٩٢٦).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١١٩٠)، ورواه مسلم، برقم: (١٣٩٤).

**والتحقيق من أقوال أهل العلم** أن قول النبي ﷺ: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا)) يشمل كل صلاة فتدخل فيه الصلاة المفروضة، وتدخل فيه صلاة النافلة، وتدخل فيه صلاة الجنازة كلها يضاعف أجرها وثوابها إذا أداها المسلم في مسجد رسول الله ﷺ، ولا شك أن الفرض إنما يُشرع في المسجد إلا لمعذور، وإن صلاة الجنازة إنما تكون مع الجماعة سواءً أقيمت في داخل المسجد، أو أقيمت في خارج المسجد.

**وأما النافلة:** فالأفضل في النافلة أن يصليها المسلم في بيته، لكن يجوز له أن يصليها في المسجد، فإذا صلاها في مسجد النبي ﷺ رجاء مضاعفة الثواب فلا حرج في هذا، والمسلم وإن كان مسافرًا فإنه يجوز له بل يُشرع له أن يصلي النوافل غير السنن الرواتب فله إذا دخل المسجد أن يُصلي تحية المسجد، وله أن يصلي بين الأذان والإقامة نافلة، وله أن يصلي بعد العشاء، وله أن يقوم الليل في مسجد النبي ﷺ، ويوتر في مسجد النبي ﷺ -الذي يظهر لنا والله أعلم- إن الأفضل للمسلم أن يصلي النافلة في بيته، وإن كان قريبًا من مسجد النبي ﷺ فإن النبي ﷺ لما سئل عن ذلك قال: ((أرأيت بيتي ما أقربه إلى المسجد فإني أحب أن أصلي في بيتي))[٤]، فالأفضل للمسلم أن يصلي النافلة في بيته، لكن يجوز له أن يصليها في المسجد، ولا ينكر عليه لو صلاها في المسجد.

**الشاهد:** أن المسلم ينبغي عليه أن يشكر الله على نعمة وصوله إلى مسجد رسول الله ﷺ بالإكثار من الصلاة في مسجد النبي ﷺ.

كما ينبغي له أن يُكرم نفسه بالجلوس في حلق العلم في مسجد رسول الله ﷺ، فإن لطلب العلم في مسجد رسول الله ﷺ مزية على غيره؛ من طلب العلم في مسجد رسول الله ﷺ حصل الأجور المرتبة على طلب العلم عمومًا، وعلى طلب العلم في المساجد، **فيُرجى له أن يكون:**

---

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٤٧٣).

- ممن يذكرهم الله في الملأ الأعلى.
- ويثني عليهم في الملائكة.
- وممن تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة.
- وتحفهم الملائكة.
- وهو يرجى له أن يفوز بأجر حج قد تم للحاج؛ لأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ))[٥].
- كما يُرجى له أن يؤوب من مجلسه العلم في مسجد رسول الله ﷺ بأجر المجاهد في سبيل الله، فإن النبي ﷺ قال: ((من أتى مسجدنا هذا ليتعلم خيرًا أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله))[٦] فما أعظمها من فضيلة، وما أنبلها من مرتبة، وما أكثرها من حسنات يجنيها المسلم إذا جلس في حلق العلم في مسجد رسول الله ﷺ، وما أجمل أن يستشعر وهو يجلس في حلق العلم في مسجد رسول الله ﷺ أنه يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يطلبون العلم في مسجد رسول الله ﷺ، والذين كانوا يُعلمون في مسجد رسول الله ﷺ.

والمؤمن إذا وصل المدينة يُشرع له: أن يزور قبر النبي ﷺ، فيشرع له أن يذهب إلى قبر النبي ﷺ، وأن يقف مستقبلًا القبر مستدبرًا القبلة أن يقف بأدب، وأن يكون على غاية الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم عند رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن يشتغل بالتصوير، لا أن يصور نفسه، ولا أن يصور الناس، ولا أن يصور الحجرة، إن الاشتغال بالتصوير عند زيارة قبر النبي ﷺ من سوء الأدب، ومما لا يجوز للمسلم أن يفعله فينبغي للمسلم أن يهجر هذه العادة القبيحة التي صارت منتشرة بين المسلمين عند زيارة قبر النبي ﷺ، وينبغي عليه أن يقف وقفة تليق بابن آدم لا أن يقف كما يقف في

---

(٥) رواه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٨١٤)، وراه أبو نعيم في الحلية الأولياء، (٩٧/٦)، وقال الألباني حسن صحيح، برقم: (٨٤).
(٦) رواه ابن ماجة، برقم: (٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧).

صلاته، وإنما يقف وقفة أدب مع رسول الله ﷺ، ويسلم على الرسول ﷺ، وإن أثنى على رسول الله ﷺ بشيء من صفاته من غير أن يطيل، ولا أن يضر الناس فلا حرج في هذا، لكن لا يجوز له أن يدعوا رسول الله ﷺ فإن الدعاء عبادة، الدعاء هو العبادة، كما قال النبي ﷺ، وقال الله ﷻ مبينًا ذلك الأمر العظيم: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، لا يجوز للمسلم أن يدعوا رسول الله ﷺ كأن يقول: الغوث الغوث يا رسول الله، أو يقول: المدد المدد يا رسول الله، أو يقول: الزوجة الزوجة يا رسول الله، أو يقول: الولد الولد يا رسول الله فإن النبي ﷺ عبد شرفه الله بالرسالة جاءنا بالتوحيد لا يعبد من دون الله، ولا يدعى من دون الله، علمنا رسول الله ﷺ أن نكون موحدين لربنا ﷻ، فلا ندعوا إلا الله ﷻ، بل إن السلف الصالح -معاشر الفضلاء- كانوا ينهون العبد عن أن يشتغل بدعاء الله عند القبر، فإذا فرغ من السلام فإنه ينتقل إلى السلام على أبي بكر الصديق ﷺ بأن يخطو خطوة واسعة ثم يسلم على أبي بكر الصديق ﷺ، ثم يخطو خطوة أضيق من الأولى ويسلم على عمر ﷺ، ثم ينصرف ولا ينشغل بدعاء الله عند القبر، وإنما ينصرف ويدعوا الله في أي مكان من المسجد.

هذا الذي كان عليه السلف، وكان عليه علماء مدينة رسول الله ﷺ في زمن التابعين وما بعدهم كما هو مشهور عن بعض أئمة آل البيت، وعن بعض أئمة المسلمين كالإمام مالك ﷺ وسائر علماء المسلمين.

ويُشرع للمسلم أيضًا: أن يزور بقيع الغرقد، فإن زيارة البقيع زيارة قبور أهل البقيع سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ فكان النبي ﷺ يذهب إلى بقيع الغرقد الفينة بعد الفينة، ويسلم على أهل البقيع ويدعوا لهم، وينبغي أن يستحضر المؤمن أنه عندما يزور القبور لا يزورها معظمًا لها، ولا متبركًا بها، ولا داعيًا لأصحابها، ولا متوسلًا بالدعاء عندها، وإنما يزورها ليتعظ بحال أهل القبور، وأنهم كانوا أحياء مثله وها هم الآن في قبورهم وأنه ولابد من أن يكون داخل هذا القبر يومًا من الأيام، يقول النبي ﷺ:

((كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمِ الْآخِرَةَ))[٧]، فيتعظ المؤمن إنما يزور القبور ليتعظ بحال أهل القبور، وليسلم على أهل القبور، وليدعو لأهل القبور، أما أن يدعوهم، أو يتوسل إلى الله بالدعاء عند قبورهم، أو يأخذ من تراب قبورهم أو نحو ذلك فإنه منكر ما فعله نبينا ﷺ، ولا أرشد إليه بل نهى عنه وحذر من أمثاله.

كما يُشرع للمؤمن: أن يزور قبور شهداء أحد، ويسلم عليهم، ويدعو لهم فإن النبي ﷺ كان يزور تلك القبور.

كما يُشرع للمؤمن: أن يزور مسجد قباء ويصلي فيه فإن النبي ﷺ كان يذهب إلى مسجد قباء ماشيًا وراكبًا، فإذا دخله ﷺ لم يخرج منه إلا وقد صلى فيه ركعتين، وقال ﷺ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ))[٨]، فالمؤمن إذا توضأ وذهب إلى مسجد قباء قاصدًا مسجد قباء وصلى فيه صلاة، سواء كانت فرضًا، أو كانت نفلًا فإنه يفوز فوق أجر الصلاة بأجر العمرة، وأيضًا بأجر سنة رسول الله ﷺ.

هذه الأمور التي شرعت لمن وصل إلى مدينة رسول الله ﷺ، وأما ما عدا ذلك فإنه لا يتقرب به إلى الله ﷻ، فإن القربة إنما تؤخذ عن رسول الله ﷺ وعن الأدلة.

أيَّها المؤمن إن وقتك في مدينة رسول الله ﷺ أغلى من الذهب فلا تضعه إلا فيما يقربك إلى الله ﷻ، واعلم –رعاك الله– أنه لا حد للبقاء في المدينة يطلب منك، فإذا تيسر لك أن تبقى ثلاثة أيام فهذا خير، وإن تيسر لك أن تبقى خمسة فهذا خير، وإن تيسر لك أن تبقى عشرة أيام فهذا خير ولم يحدد البقاء في المدينة بثمانية أيام، ولا بأربعين صلاة فإن الحديث الوارد في ذلك ضعيف ولا يبنى عليه الحكم.

---

(٧) رواه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٣٧).

(٨) رواه ابن ماجة، برقم: (١٤١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (٦١٤٨).

معاشر الفضلاء! قبل أيام قلائل ودع المسلمون موسمًا مباركًا جعله الله ﷻ للمؤمنين وقتًا للخيرات والبركات، جعل لكم فيه خيرات كرامًا، وأجورًا عظامًا، وجعل لكم فيه أيامًا هي في بركتها وخيراتها وثوابها، خير لكم من غيرها، قال فيها ربنا: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر: ١ – ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال فيهن النبي ﷺ: ((أفضلُ أيامِ الدنيا العشرُ قيل: ولا مثلُهن في سبيلِ الله؟ قال: ولا مثلُهن في سبيلِ الله، إلا رجلٌ عَفَّرَ وجهه بالتراب))[٩]، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ" قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فقَالَ النبي ﷺ: "هنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سبيل الله إلّا عفيرٌ يعفّر وجهه في التراب))[١٠].

وقال ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ))، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ ((وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))[١١].

وما من مؤمن يا عباد الله سمع بفضلهن إلّا وقد اجتهد فيهن ما بين مقلٍّ ومكثر، فكان المؤمن في موسم عظيم من مواسم المتاجرة مع الله، واختصّ الله رجالًا ونساء بحج بيته العتيق ليشهدوا منافع لهم، ((سُئل رسول الله ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»))[١٢].

---

(٩) رواه نُعيم ابن حماد في الفتن، برقم: (١٥٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره، برقم: (١١٥٠).

(١٠) انظر في صحيح الترغيب والترهيب للألباني، برقم: (١١٥٠)، (ج٢/ص٣٢).

(١١) رواه ابن ماجة، برقم: (١٧٢٧)، ورواه الترمذي، برقم: (٧٥٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث، برقم: (٩٥٣).

(١٢) رواه البخاري، برقم: (٢٦).

وفي حديث ماعزٍ ﷺ أن النبي ﷺ: ((سُـــئل أي الأعمال أفضـــل؟ فقال: إِيمَانٌ بِاللهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا))[١٣]، أي: أن ثواب الحج أعظم من ثواب سائر الأعمال كما بين المشرق والمغرب.

وقد بشّـر النبي ﷺ الحجاج بثمارٍ عظيمة، وآثارٍ كريمة وهم يرجون العودة فائزين بها، قال النبي ﷺ: ((تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ))[١٤].

وقال النبي ﷺ مبشرًا الحاج: ((فَإِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لا تَضَعُ نَاقَتُكَ خُفًّا، وَلَا تَرْفَعُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ حَسَـنَةً وَمَحَا عَنْكَ خَطِيئَةً، وَأَمَّا رَكْعَتَاكَ بَعْدَ الطَّوَافِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّـفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ كَعِتْقِ سَـبْعِينَ رَقَبَةً، وَأَمَّا وُقُوفُكَ عَشِـيَّةَ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: عِبَادِي جَاءُونِي شُـــعْثًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي فَلَوْ كَـانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَـدَدِ الرَّمْـلِ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرَهَـا، أَوْ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُورًا لَكُمْ وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ، وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارِ فَلَكَ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا كَبِيرَةٌ مِنَ الْمُوبِقَاتِ، وَأَمَّا نَحْرُكَ فَمَذْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ، وَأَمَّا حِلاقُكَ رَأْسَـــكَ فَلَكَ بِكُلِّ شَـــعْرَةٍ حَلَقْتَهَا حَسَنَةٌ وَيُمْحَى عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّكَ تَطُوفُ، وَلَا ذَنْبَ لَكَ يَأْتِي مَلَكٌ حَتَّى يَضَعَ يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْكَ، فَيَقُولُ: اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى))[١٥].

---

(١٣) رواه أحمد في مسنده، برقم: (١٩٠١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (١١٠٢).

(١٤) رواه أحمد في مسنده، برقم: (٨١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (١١٠٤).

(١٥) رواه البزار في مسنده، برقم: (٦١٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (١١١٢).

وقال ﷺ: ((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُــقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[١٦]، وقال ﷺ: ((وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))[١٧]، فيا له من موســم متاجرة مع الله ﷻ وإن التاجر الأريب، والمتاجر اللبيب إذا انتهى من موسم المتاجرة يبدأ في المحاسبة **من جهات ثلاث:**

- **أما الجهة الأولى:** فمن جهة التحقق من حصــول الربح وأن يكون الربح حقيقيًا لا وهميًا وهكذا يا عبد الله هكذا يا أمة الله ينبغي على المؤمن الذي اجتهد في هذه الأيام المباركات، أو كان من الحجاج أن ينظر في ربحه بأن يحســن ظنه بربه ويرجو ما عند الله، وأن يرجو أن يتقبّل الله عمله ويعفو تقصيره فإن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله جل وعلا يقول: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَـرًّا فَلَهُ))[١٨]، فيا أيّها المؤمن، يا من أديت الحج، يا من اجتهدت في الصالحات، ظُن الخير بربك، وظُن أن الله يتقبل منك! فإن ربك ﷻ عند ظنك به، وإن المؤمن اللبيب يضــم إلى ذلك أن يخاف ألا يتقبل الله منه ما قدم لســوء ظنه بنفسه، كما قال ربنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، سألت الصديقة بنت الصديق ﵂ وعن أبيها رسول ﷺ عن هذه الآية: ((أَهُمُ الَّذِينَ يَشْـرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْـرِقُونَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ الصِّـدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُـومُونَ وَيُصَـلُّونَ وَيَتَصَــدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ، {أُولَئِكَ يُسَــارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}))[١٩].

فالمؤمن بعد هذه الأيام المباركات، وبعد موســم الحج العظيم، ينظر إلى أعماله في تلك الأيام وفي حجه، إن كان قد حج بالخوف والرجاء، وهذا يقوده إلى أن يجتهد في الدعاء، أن

---

(١٦) رواه البخاري، برقم: (١٥٢١).

(١٧) رواه البخاري، برقم: (١٧٧٣).

(١٨) رواه أحمد في مسنده، برقم: (٩٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٣٣٨٤).

(١٩) رواه الترمذي في سننه، برقم: (٣١٧٥).

يتقبل الله منه ما قدمه، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يجتهدون في الصالحات اجتهادًا عظيمًا، ثم يجتهدون في الدعاء أن يتقبل الله منهم.

- **وأما الناحية الثانية:** فهي من جهة الحرص على ألا يُتبع تلك التجارة بصفقة خاسرة، تطغى على ربح تلك التجارة، أو تُنقص ربح التجارة! وقد قال ربنا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، إنها امرأةٌ كانت تغزل الصوف، حتى إذا أصبح قويًا عادت إليه ونكثته، فلم تستفد إلا التعب! وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، فالمؤمن الذي اجتهد في تلك الأيام، وفي حجه ينبغي عليه أن يكون حريصًا على ألا يُتبع ذلك بعمل يُحبط ما قدمه، أو يُنقص أجر عمله الذي قدمه، وألا يكون من الغافلين، فبعض الناس عباد الله يجتهد في أيام العشر، وقد يحج، فاذا انقضت تلك الأيام أو عاد من حجه، ومرت عليه أيام، ترك الصلاة والعياذ بالله، وتلك ردة تحبط عمله، كما قال النبي ﷺ: ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ))(٢٠).

فيا من أحسنت في أيامك، ويا من حججت في عامك، ابق الصلة بينك وبين ربك قائمة، وإيَّاك أن تترك الصلاة أبدًا، وربما أخذ بعض الناس يغتاب الناس، ويكذب على الناس، ويظلم الناس، وقد يغره حجه بأن ذنوبه قد غُفرت، فيتطاول على الناس، وهذا يُذهب أجر أعماله، قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: ((أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ " قَالُوا: الْمُفْلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: "الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))(٢١).

---

(٢٠) رواه ابن ماجة، برقم: (١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٥٦٤).

(٢١) رواه الترمذي، برقم: (٨٤١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٢٨٤٢).

- **وأما الناحية الثالثة:** فهي ناحية استمرار التجارة مع الله في الأيام التي تلي الموسم؛ بأن يستمر الربح في تلك الأيام إلى أن يأتي موسمًا آخر، وهكذا ينبغي على المؤمن الذي اجتهد في هذه الأيام المباركات وفي حجه أن يحرص على استمرار ربحه في بقية الأيام القادمة، وكان حبيبنا، وإمامنا، وقدوتنا، ونبينا، وقرة أعيننا ﷺ إذا عمل عملًا أثبته وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه، وقال ﷺ: ((أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))[٢٢]، وقال ﷺ: ((لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))[٢٣]، وهذا يشمل كل عمل صالح عمِله الإنسان، وكان مما يستمر عليه لا ينبغي عليه، ولا يليق به أن يتركه بعد أن ذاق حلاوته.

يا عبد الله يا من اجتهدت في الأيام المباركات، يا من حججت بيت الله الحرام اجعل عمرك القادم كله لله، وكُن ما بين مطيع وتائب فإن عمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا، قال النبي ﷺ: ((لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»))[٢٤]، وقال ﷺ: ((لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الموْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ))[٢٥].

واعلم –رعاك الله– أن من علامات قبول العمل، من علامات قبول ما عملته في أيام العشر المباركات، **ومن علامات قبول حجك:**

- أن تعمل العمل الصالح بعد ذلك العمل.
- وأن تكون حالك بعد عملك خيرًا من حالك قبل ذلك العمل.

---

(٢٢) رواه البخاري، برقم: (٦٤٦٤).
(٢٣) رواه البخاري، برقم: (١١٥٢).
(٢٤) رواه مسلم، برقم: (٢٦٨٢).
(٢٥) رواه البخاري، برقم: (٧٢٣٥).

✍ وسر ذلك: أن الأعمال الصالحة من الإيمان، وأن الإيمان يزداد بالطاعة فإذا تقبل الله منك عملك؛ فإن إيمانك يزداد، وإذا ازداد إيمانك ازداد إقبالك على الطاعات، وانكفافك عن المعاصي، وكان السلف يقولون: (إن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها).

وكان الحسن البصري ﷺ: (إذا سُئل ما الحج المبرور؟ يقول: أن تعود زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة)، أي: أن تعود من حجك وحالك خيرٌ من حالك التي كانت قبل الحج.

معاشر المجتهدين في الخيرات، معاشر الحجاج قد أطعتم ربكم، وقد رأيتم بذلك سكينة في حياتكم، وسكينة في نفوسكم، وطمأنينة في قلوبكم، ولذة في قلوبكم، فعلى ماذا عزمتم بعد ذلك؟ أتُراكم ولا أحسبكم إلا كذلك تبقون في طاعة الرحمن، ومن حزب الرحمن، أم أنكم والعياذ بالله يغُركم الشيطان فتتساقطون في شباك الشيطان، وتبتعدون عما يحبه الرحمن.

عباد الله بان لكم بعين البصيرة والحقيقة أن طيب الحياة وسكينة الدنيا، ولذة الدنيا إنما هي في طاعة الله، وأنك يا عبد الله بمقدار قربك من الله تنالُ جنة الدنيا، ونعيم الدنيا، وطيب الحياة في الدنيا ألا فاتقوا الله عباد الله، واستمروا على طاعة الله.

ويا من حج بيت الله الحرام كُن من الشاكرين، أشكر الله ﷻ على ما أولاك، وأحمده على ما حباك، وأعطاك من نعمه وبره، وخيره، وعطاءه وإحسانه، واعلم أن الفضل كله لله، فوالله لولا الله ما حججت، فوالله لولا الله ما أكملت حجك، ووالله لولا الله ما رجعت من حجّك؛ فهو سبحانه المنعم بالنعم كلها، قال ربنا ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

واعلم يا عبد الله أنّ مِن شُكر الله ﷻ شُكرَ الناسَ، قال النبي ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ))[٢٦]، فعليك يا عبد الله أن تشكر الناس الذين أعانوك على حجّك سواءً كانوا في بلدك، أو كانوا هنا في بلاد الحرمين الشريفين.

وقد رأيت بأُمِ عينيك ما يُبذل للمسلمين من خدمة عظيمة؛ لتيسير حجّهم، وكيف أنّ الناس يستقبلون الحُجاج ببشاشةِ وفرح، ويبذلون ما يستطيعون لخدمة الحُجاج، بدءً من رأس هذه الدولة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده، إلى رجال الأمن، إلى رجال الدعوة، إلى عامة الناس، الكل فرحٌ بالحجاج، والكل يتقرب إلى الله بخدمة الحُجاج، قد رأيت بأُمِ عينيك هذه المشاريع العملاقة العظيمة التي كلفت المليارات من الريالات؛ من أجل تيسير الحج على المسلمين بلا مِنّة من أحدٍ على أحد؛ فعليك أن تشكُر الناس على ذلك، ومن شكر الناس أن تُثني عليهم بما قدموه، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ وعن أبيه أن النبي قال: ((مَن أعطي عَطَاءً فوجَدَ، فَليَجزِ بِهِ، فان لم يجِد، فليثنِ به، فمن أثنَى بهِ فقَد شكَرَهُ، ومن كتَمَهُ، فقد كفَرَهُ))[٢٧]، أنت رأيت الخير بأُمِ عينيك فأثنِ على من قام بهذا العمل، وأذكر خيره، وانشر فضله، وذبّ عن عِرضه؛ فإنّ ذلك من الشكر الذي ينبغي عليك لعباد الله.

واعلم -أيَّها الحاج- أنّ الحج مدرسة عُظمى للتوحيد، والاتباع، والتقوى، نعم والله أعظمُ مدارس الدنيا للتوحيد، والتقوى، واتباع رسول الله ﷺ، حجُ بيت الله الحرام حجك كلُّه يا عبد الله توحيدٌ لله ﷻ، لبيت بالتوحيد أعلنت بالتوحيد: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ) عقدت على هذا قلبك، ونطق بهذا لسانك، لبيت بالتوحيد كما لبى رسول الله ﷺ بالتوحيد، أحرمت لله ﷻ لا تريدُ إلا وجه الله ﷻ، أخلصت لربك ﷻ في

(٢٦) رواه الترمذي، برقم: (١٩٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٦٥٣٤).

(٢٧) رواه أبو داود في سننه، برقم: (٤٨١٣).

حجك طُفت بالكعبة وأنت تكبر الله، وتدعو الله، وتوحد الله ﷻ، تطوف بالكعبة معظمًا لها؛ لأنها من شعائر الله لكن قلبك لا يتعلق بها وإنما يتعلق بالله ﷻ، لا تدعو حجرًا، وإنما تدعو الرب العظيم ﷻ.

وقفت بعرفة موحدًا لله ﷻ شعارك: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لهجت بها في سعيك، لهجت بها في عرفة، لهجت بها في مِنى تَذكُر الله ﷻ، وتدعو الله ﷻ موحدٌ لله ﷻ؛ فينبغي يا عبد الله أن تجعل ذلك شأنك في حياتك كُلِها أن تكون موحدًا مبغضًا للشرك بعيدًا عن الشرك كُلِه كبيره وصغيره ظاهره وخفيه، حريصًا على الإخلاص لله ﷻ، وعلى أن تكون عبادتك كلها صغيرها وكبيرها لله ﷻ، وعلى أن يكون توكلك على الله ﷻ.

الحج يا عبد الله مدرسة للتقوى، فأنت تتعلم في الحج أن تتقي الله ﷻ، أرأيت كيف أنك يا عبد الله إذا أحرمت امتنعت عن أمور هي مباحة لك؛ لأن الله قد حرمها عليك حال إحرامك، فاجتنبت محظورات الإحرام من أجل الله ﷻ، طاعة لله ﷻ.

طفت سبعة أشواط، لم تطف غير ذلك؛ لأن الله ﷻ شرع لك ذلك، وقفت في عرفة ولم تقف في غيرها، بت في مزدلفة ولم تبت في غيرها، بت في منى ولم تبت في غيرها، رميت الجمار في موضعها ولم ترم غيرها، ذبحت لله ﷻ تتقي الله، تطيع الله.

وهكذا يا عبد الله ينبغي أن تجعل تقوى الله شعارك في حياتك كلها، أن تعبد الله، وأن تطيع الله ترجو ثواب الله على نور من الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

فإذا علمت بالدليل أن الله يحب هذا الفعل فعلته وكنت من أهله، وإذا علمت بالدليل أن الله يُحرم هذا الفعل تركته وهجرته ولو كنت تعمله من قبل ستين سنة، أو أربعين سنة، فالله أكبر عندك، تعلمت هذا من حجك.

الحج -معاشر الإخوة والأخوات- مدرسة لاتباع رسول الله ﷺ، ووالله ثم والله لا يفلح المؤمن إلا إذا اتبع محمدًا ﷺ، قدوتنا رسول الله ﷺ، إمامنا رسول الله ﷺ، نعبد الله متبعين لرسول الله ﷺ، نبحث عن سنة رسول الله ﷺ لنشرف بأن نفعل العبادة كما فعلها رسول الله ﷺ.

ألم تر يا عبد الله أنك تجردت من الثياب، ولبست الإزار والرداء متبعًا لرسول الله ﷺ؟! طفت بالكعبة ولو تيسر لك أن تُقبل الحجر الأسود لقبلته وأنت تعلم أنه لا يضر ولا ينفع، وإنما لأنك علمت أن رسول ﷺ قبله تقبله، كما قال عمر رضي الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود: (إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)[٢٨].

كنت في حجك تفعل كما فعل رسول الله ﷺ، لا تحدث في دين الله، ولا تبتدع بدعًا تحدثها في دين الله، وهكذا يا عبد ينبغي أن يكون شعارك في بقية عمرك، أن تتبع رسول الله ﷺ، فمن دعاك إلى عبادة قل له: أين هي في سنة رسول الله ﷺ؟ فإن جاء بها في حديث صحيح فعلى الرأس والعين، وإن لم يأت بها في حديث صحيح فمهما كان فضل القائل ففضل رسول الله ﷺ أعظم، تردها عليه ولا تقبلها، ولا تعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ، متبعًا لرسول الله ﷺ، متذكرًا قول النبي ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[٢٩]، متذكرًا قول النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٣٠]، متذكرًا أن النية الحسنة لا تكفي لجعل العبادة حسنة بل لابد من أن تكون جاءت من طريق رسول الله ﷺ، جاء ثلاثة نفر إلى بيوت النبي ﷺ فسألوا عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، وقالوا: إن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأما نحن فمؤاخذون بأعمالنا، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم الدهر

(٢٨) رواه البخاري، برقم: (١٥٩٧).
(٢٩) رواه البخاري، برقم: (٢٦٩٧).
(٣٠) رواه مسلم، برقم: (١٧١٨).

ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فلا أتزوج النســـاء، فلما لقيهم النبي ﷺ قال: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُـــنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، وخطب الناس، وقال: ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ أما إني أخشاكم لله وأتقاكم لله أما إني أقوم وأرقد، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٣١]، يا لها من جملة! يا لها من جملة! فمن رغب عن ســـنتي فليس مني، فإيَّاك يا عبد الله أن ترغب عن سـنة رسـول الله ﷺ، وإياك يا عبد الله أن تسـتبدل السـنة بالبدعة، كن لازمًا ملازمًا محبًا لسنة رسول الله ﷺ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

❁❁❁❁

(٣١) رواه البخاري، برقم: (٥٠٦٣)، ورواه مسلم، برقم: (١٤٠١).